

## مقدمة كتاب الإصلاح الانجيلي في العبادة

عندما أطلق المصلح الإنجيلي مارتن لوثر، حركة الإصلاح الإنجيلي في ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٥١٧، في ألمانيا، معلِّقاً بنوده الإصلاحية الخمسة والتسعين على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ. فقد ابتدأ بإصلاحات عقائدية أساسية، لا سيما منها العقائد الثلاث الكبرى: الكتاب المقدس وحده، النعمة وحدها، والإيمان وحده. هذه العقائد، هي أكثر ما تتوقف عنده أدبيات الإصلاح الإنجيلي، لا سيما في كنائس العالم العربي الإنجيلية. إلا أن هناك جوانب أساسية عملية من الإصلاح، غالباً ما يُغفل عنها، ساهمت بشكل أساسي في صياغة مضمون العبادة في كنائسنا الانجيلية المتنوعة وهويتها وطريقة ممارستها.

فلم يكن منطقيًا بالنسبة للمصلحين الإنجيليين أن تبقى حركة الإصلاح متمحورة حول الحقل الكتابي والعقائدي فقط، بل حملوا مشعل الإصلاح إلى الحياة العملية اليومية، لا سيما حياة العبادة في الكنيسة. فاللاهوت الذي عملوا على صياغته، لم يكن فقط لاهوتًا نظاميًا، بل كان لاهوتًا روحيًا، وعمليًا، ورعويًا. عمل المصلحون على إيجاد الانسجام بين العقيدة والحياة، وبين النظرية والممارسة. إلا أنه، بالرغم من توفّر الإجماع بين المصلحين المتنوعين، على الحاجة القصوى لإصلاح العبادة التي كانت سائدة في كنيسة القرون الوسطى، فإنه لم يتوفر التوافق بينهم حول حدود الإصلاح التي يجب اعتمادها في العبادة، بل كان لديهم وجهات نظر متفاوتة حول ذلك؛ ففي حين أن بعض المصلحين، أبقوا في مضمون العبادة على كل شيء لا يتعارض مع الكتاب المقدس، إلا أن مصلحين آخرين ذهبوا أبعد من ذلك.

قال المصلح الإنجيلي مارتن لوثر: "يكشف لنا نور الإنجيل، كل ما لا ينسجم مع كلمة الله". وأضاف: "نحن لا ننوي أن ننتقد، ونزيل كل مجريات العبادة في الكنيسة الرومانية، بل سنمتحن كل شيء، نميز بين الحقيقة والخرافة، نزيل كل شيء لا ينسجم مع تعاليم الإنجيل، ونعيد الأساس الصحيح للعبادة الذي كان موجودًا في الكنيسة الأولى". أما المصلح الإنجيلي جون كلفن، الذي أصرَّ على ضرورة انسجام شكل العبادة من الخارج، مع توجهات القلب الصادقة من الداخل، فقد أعلن قائلًا: "كل إضافة على العبادة، لا تنسجم مع كلمة الله، هي باطلة".

هذا الكتاب "الإصلاح الإنجيلي في العبادة"، يعالج الحثيات التي رافقت الإصلاح في العبادة، ويبين مجريات الإصلاح في المكونات الأساسية للعبادة، التي استندت إلى مبادئ الإصلاح، والتي صاغت هوية العبادة الإنجيلية، التي ننعّم بها اليوم في كنائسنا.

نتوقف في هذا الكتاب مع مفهوم المصلحين الإنجيليين الأساسيين للعبادة. اعتقد مارتن لوثر أن العبادة ليست نظامًا ما، إنما هي عيش الإنسان لإيمانه في المسيح. اعتقد أنها ليست هدفًا بحد ذاته، لكنها خادمة الإنسان المؤمن، في اقترابه من الله. نظر لوثر إلى العبادة، على أنها وسيلة حقيقية من أجل الوصول إلى الغاية الواحدة، التي هي يسوع المسيح، والنمو في عبادته ومعرفته واختبار عظمة مجده. وأما المصلح جون كلفن، فقد عرّف العبادة، بعدة تعاريف منها: "اللقاء مع الله أولاً"، "الصعود الروحي إلى الله"، "التذوق المسبق للعبادة السماوية التي تنتظرنا".

وعليه، فإنه بعد دراسة المصلحين الإنجيليين جيدًا، لمكونات العبادة في الكتاب المقدس، وسفر أعمال الرسل، الذي هو سجلّ العبادة في الكنيسة الأولى، وليتورجيات العبادة خلال تاريخ الكنيسة، فإنهم قاموا

بإصلاحات كبيرة، في كل تفاصيل ومجريات العبادة: من الوعظ، إلى الليتورجيا، الى الصلوات، إلى الموسيقى، إلى الترنيم، إلى الرعاية التي اعتبروها جزءًا من العبادة، أو أي شيء آخر، رأوا الحاجة لإصلاحه. وبعد الدراسة، قاموا بتغييرات، وتعديلات، وإضافات، واعتمدوا خدمات عبادة، انسجمت مع مفهومهم للعبادة المسيحية الحقّة. أيضًا، قام المصلحون، بوضع رؤية لاهوتية رعوية، لخدمة: القسوس والرعاة وقادة كنائس الإصلاح، لتطبيق التغيير. كما تركوا لجمهور الكنائس ورعاتها، كتب خدمات عبادة تشاركية، كيما تشترك كل الكنيسة في عبادة الرب يسوع المسيح، الذي له كل المجد، الآن والى الأبد. آمين.

القس سهيل سعود